أثر المنهج السيميائي في بيان العلاقات التركيبية والكشف عن الانسجام النصي

The semiotic method and its impact on the detection of structural relations and textual harmony

أبوبكر بوقرين * (1)

جامعة عمار ثليجي،(الأغواط)

ak.bougrine@lagh-univ.dz

تاريخ الإرسال:2021/10/22	تاريخ القبول:2022/05/31	تاريخ النشر:2022/06/10

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحديد دور المنهج السيميائي في تجلية العلاقات التركيبية بين عناصر النص، وتبيان أثر ذلك في إدراك ملامح الانسجام النصي، وعرض أهم المناقشات الإجرائية للتحليل السيميائي على النصوص، مع ذكر نموذج تحليلي حاول تطبيق المنهج السيميائي على النص القرآني.

على اعتبار أن السيميائية منهج نقدي يحرص على المواءمة بين الجانبين الخارجي والداخلي للعلامة دون أن تنسى دور المرجع (referent) والمؤول (interpreter).

وقد تنبه المشتغلون بهذا المنهج إلى أن السيمياء تمتلك مرونة كبيرة لتناسب الحقل المراد تطبيق المنهج عليه، ومن هنا نشأ لدينا نتيجة جهود متلاحقة: السيميائيات السردية، والسيميائيات الثقافية، وسيميائيات التلقي، والسيميائيات الخطابية، دون أن يعني ذلك فقدانها لأسسها المكونة.

* أبوبكر بوقرين

ونفترض في دراستنا هنا أن السيميائيات اللغوية، تدرس (العلامات) من خلال النص، وتبحث عن الأبعاد الدلالية التي تحقق الانسجام الكلي للنص، وتعطي بذلك الحرية للنص ليختار من الأدوات الإجرائية المتغيرة: (الزمان، المكان، التشاكل والتباين، الإيقاع.)

الكلمات المفتاحية: المنهج، السيميائيات، العلاقات التركيبية، الانسجام، النص.

Abstract:
This research aims to determine the role of the semiotic method and to show the structural relationships between the elements of the text, plus the impact of this in realizing and understanding the features of textual harmony, and to present the most important procedural semiotic analysis on texts, mentioning an analytical model that tried to apply the semiotic method on the Qur'anic text

semiotics is seen as a critical method that focus the harmony between outer and inner sides of the sign, without forgetting the role of the reference (referent) and the interpreter(interpreter).

Semiotic scientists found out that semiotics have a great flexibility to fit the field to be applied to, those successive efforts led to the emergence of: The narrative semiotics, The cultural semiotics, The reception semiotics and The rhetorical semiotics, without losing their essential constituent.

In our study here, we assume that linguistic semiotics study the (signs) through the text,and it searches the semantic interpretations that achieve the overall harmony of the whole text, thus giving the text the freedom to choose from changing procedural tools: (Time, Space, similarity, contrast, rhythm.).

Keywords: semiotic method ,structure relationship, harmony of the text.

مقدمة:

إذا كانت السيميائيات تبحث عن دلائل العلامات وتأويلاتها في الكون كله، فإنها تحاول فرض تطبيقاتها على مختلف مظاهر الحياة، في قِسْميها المُهمّين: اللغوي وغير اللغوي.

فإذا قلنا بأن السيميائيات تدرس النص الأدبي باعتباره علامة فذلك لأنها تنظر إلى الأبنية العامة للنصوص الأدبية باعتبارها نسقا من العلامات مغلقا على نفسه ولا يشير إلى شيء خارجه سواء كان هو الواقع الاجتماعي أو الوجود الإنساني بوجه عام.

ومرد هذه النظرة إلى أن السيميائيات لا تفصل بين الظاهرة التجريبية الواحدة والمحيط العام الذي تظهر فيه، بل تفترض شبكة من الأنساق المتداخلة، تضع هذه الظواهر في وحدة كبرى تتألف من كلية هذه الأنساق المختلفة، فتتداخل وتتعارض وتتقاطع في بعض المواضع، وتتباعد في أخرى.

وعلى هذا، نطرح الإشكال التالي: ما هو دور المنهج السيميائي في تجلية العلاقات التركيبية للكشف عن الانسجام النصي؟

وتتفرع إلى الأسئلة الفرعية التالية: ما هو الفرق بين السيميائيات العامة والسيميائيات الخاصة؟

ما هي المجالات التي تشتغل ضمن حقلها السيميائيات كمنهج نقدي؟

ما هو الإطار اللساني الذي تأسست عليه مفاهيم السيميائية؟

ما هي أهم الأدوات الإجرائية في التحليل السيميائي للنص؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة نضع بين يدي هذا البحث العنوان التالي: المنهج السيميائي وأثره في بيان العلاقات التركيبية والكشف عن الانسجام النصي.

ونفصل بيان هذا العنوان في إطار العناصر التالية:

1 – تعريف السيميائيات

2 – تعدد مجالات السيميائية

3 – اللسانيات والسيميائيات اللغوية

4 – التحليل السيميائي للنص

5 – نموذج في التحليل السيميائي على النص القرآني

وقد اعتمدنا في إعداد هذا المقال على عدد من البحوث المتصلة بالسيميائيات منها: آراء عابد الجرماني في: اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية. وجوزف كورتيس في: سيميائية اللغة. ودانيال تشاندلر: أسس السيميائية. وفيصل الأحمر: معجم السيميائيات. وصلاح فضل: مناهج النقد المعاصر. وأمبرتو إيكو: العلامة. وعبد اللطيف محفوظ: سيميائيات التظهير. وجان كلود جيرو: السيميائية أصولها وقواعدها، ترجمة: رشيد بن مالك. وعبد المالك مرتاض: نظام الخطاب القرآني تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن.

هذه الخلفية المعرفية للبحث مكنتنا من محاولة الربط بين عدد من المفاهيم المتصلة بالبحث في المنهج السيميائي وتطبيقاته على النصوص، وسنستعرض هذه الآراء والمناقشات النقدية والخطوات الإجرائية تباعا فيما يلي من البحث.

1. تعريف السيميائيات:

قبل أن نبدأ في معالجة الجانب الإجرائي وتحديده لا بد أن نذكر بأن للسيميائية مفهومين:

المفهوم الأول: عام يرى أن السيميائية فلسفة تكاملية للحياة تنضوي تحتها مجموعة من مجالات الحياة العلمية والحياتية، وهذا لا يتعلق به الجانب الإجرائي إلا من حيث هو إعمال للفكر في مختلف أنواع العلامات التي تضج بها الحياة.

والمفهوم الثاني: خاص محدد، يرى أن السيمياء منهج نقدي يختلف عن المناهج النقدية الأخرى، إذ شارك معظم أعلامه في المناهج النقدية السابقة والمرافقة مما دفعهم للإفادة منها في إيجاد الإجراء الأكثر مناسبة للتطبيق على مجالات الحياة المختلفة، متناولين الأدب بوصفه مفرزا طبيعيا للواقع، وهذا ما جعل السيميائية مهتمة بالمجال الثقافي والإيديولوجي والفلسفي والرياضي والتأويلي والسردي، إذ تقوم باقتحام النص السردي وفق إحدى الطرق الإجرائية وتحرص على المواءمة بين الجانبين الخارجي والداخلي للعلامة دون أن تنسى دور المرجع **(referent)** والمؤول **(interpreter)** (آراء عابد الجرماني، 2012، صفحة 27)

وبين هذين المفهومين العام والخاص، نجد طرقا متعددة تسلكها السيميائية بمنهجها النقدي ورؤيتها الفلسفية، بحسب الحقل المراد دراسته، محاولة الكشف عن أسرار ترابط العلامات وتنوع الدلالات.

2. تعدد مجالات السيميائية:

إن ميادين تطبيق السيميائية كثيرة متعددة، لكن يجب اعتبار مستوى الملاءمة المحدود جدا، بحيث تغطي في النهاية على الأقل كل الأنشطة الإنسانية (إن لم تكن الحيوانية بل حتى النباتية) أي مجموع الثقافات، فما هي الثقافة إن لم تكن مجموع التمثيلات أو السلوكات الدالة الممكنة، التي تراكم مجموع المعارف والعلوم التطبيقية المعرفية والعاطفية المكتسبة، والتي تتميز بكونها قابلة للتوصيل إلى أشخاص آخرين من خلال لعبة منظومات أكثر أو أقل تعقيدا؟

وكما نعلم فإن تعلّم لسان أجنبي شيء، والدخول فعليا في الثقافة التي ينخرط فيها شيء آخر فليس أبدا من خلال مفردات لسان ما، مهما تكن دقيقة تستطيع الدخول إلى ثقافة أجنبية. (جوزف كورتيس ، ترجمة: جمال حضري.، ط 1 2007، صفحة 73)

وأمام هذا التنوع الميداني فإنه يختلف تعريف السيميائية ومنظورها ومنهاجها من منظّر إلى آخر، لذلك من المهم أن يحدد القادمون الجدد إلى هذا الحقل صاحب السيميائية التي يتبعونها. (دانيال تشاندلر. ترجمة: طلال وهبة،، ط 1(أكتوبر 2008)، صفحة 351)

والتأمل يكشف أن السيميائية أسوة بسواها من العلوم أو الاتجاهات الفكرية والنقدية فيها ثوابت ومتغيرات، فمن ثوابتها: التركيز على أن مدار اهتمامها العلامات التي تستطيع تفسير العالم الذي تشكل تفاصيله تلك العلامات، ومن متغيراتها: قدرتها على التكيف مع الحقل والمؤول والطرائق الإجرائية.

فعلى مستوى الحقل الذي تشتغل عليه، تنبه المشتغلون إلى أن السيمياء تمتلك مرونة كبيرة لتناسبه، ومن هنا نشأ لدينا نتيجة جهود متلاحقة: السيميائيات السردية، والسيميائيات الثقافية، وسيميائيات التلقي، والسيميائيات الخطابية، دون أن يعني ذلك فقدانها لأسسها المكونة. (آراء عابد الجرماني، 2012، صفحة 27. 28)

3 . اللسانيات والسيميائيات اللغوية:

السيميائيات اللغوية تطورت بشكل كبير منذ القرن العشرين وقد أخذت الكثير من مبادئ وقواعد اللسانيات.

فالعلامات اللسانية تنقسم إلى قسمين كبيرين: علامات الكلام، ووحدتها الدنيا تسمى (أصوات) والثانية: علامات الكتابة، ووحدتها الدنيا تسمى (حروف). ومقابلة الأصوات بالكلمات هي في الواقع من منطلق اعتباطية الدليل مثلما سماها سوسير.

فقد جعل (سوسير) اللغة ذات شكل ثنائي: دال ومدلول يمارسها الفرد باستمرار، تتكون من وحدات مستقلة وثابتة، وهي المسؤولة عن العمليات السمعية والصوتية المنتجة للكلام إنها: نظام من العلامات تستند أساسا، وقبل كل شيء على اتحاد بين المعنى والصورة الصوتية، ويتميز هذان الوجهان للعلامة (المعنى والصورة) بكونهما نفسيين.

ويرى بنفنيست سبب كون اللغة نظاما سيميائيا هو أنها:

1 – تتمثل في قول يحيل إلى موقف معين (قصدية القول)

2 – وحداتها مستقلة تمثل كل واحدة منها علامة

3 – إنتاجها واستقبالها مشترك بين الجميع لقيمها الإشارية.

4 – أداة للتواصل بين مرسل ومرسل إليه.

وتتمثل السيميائيات اللغوية في أشكال لسانية أهمها: الفونولوجيا، التركيب، التصريف، الدلالة (فيصل الأحمر، ط1 (2010)، صفحة 72)

فالعلامة في مفهومها السيميائي عند دي سوسير تتكون من دال هو صورة صوتية ومدلول هو المفهوم، أما عند بيرس فإن العلامة هي شيء ما يشير إلى شيء آخر سواه عند شخص ما في ناحية أو صفة معينة، والعلاقة بينهما هي علاقة الإحالة أو المرجعية. (صلاح فضل، ط2 (2013)) ص100. أو هي عبارة عن شيء ما يعوض شيئا آخر وفق علاقة أو صفة ما (Gerard deledalle , 1979, p. 12)

فالعلامة في المجال التطبيقي هي الظاهرة الأسلوبية بجانبيها الدال والمدلول، وتكمن أهميتها في تسهيل إدراك المعنى، يوضح جوزف كورتيس بأنه لا يمكننا التفكير فعليا دون علامات ودون كلمات ودون ترسيمات بل دون صور، فبدونها لا يمكن لأي معرفة ومن باب أولى لأي تحصيل للعلم أن يكون ممكنا. (جوزف كورتيس ، ترجمة: جمال حضري.، ط 1 2007، صفحة 22) بل يذهب إلى أبعد من ذلك باعتبار اللغة علاقة متجهة من الإنسان إلى العالم أو في الاتجاه المعاكس، وفي الحالتين فإن قطبي العلاقة لا يكون لهما معنى إلا لأحدهما بالنسبة إلى الآخر، فالعلاقة التي تربطهما ليست إلا ما نسميه تقليديا: العلامة. (جوزف كورتيس ، ترجمة: جمال حضري.، ط 1 2007، صفحة 22)

وبالنظر إلى التعريف الذي أعطاه سوسير للسيميولوجيا بكونها: العلم الذي يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، فإنه الاعتراف عمليا ولو ضمنيا بأن العلامة لا توجد أبدا منفردة، لأنه من البديهي بالفعل ألا نواجه في حياتنا اليومية إلا نادرا علامة واحدة منفردة، فعادة ما نكون في مواجهة متتاليات من العلامات. وبتعبير آخر تقيم العلامات فيما بينها على الأقل نوعين من العلاقات التي تحدد المنظومة التي تنخرط فيها فمن جهة تخضع لعلاقات التقابل والتمايز (محور الاختيار عند بنفنست)، ومن جهة أخرى فإن العلامات تتوالى الواحدة بعد الأخرى حسب قواعد التوزيع (محور التركيب حسب بنفنست) وهذه هي حالة الجملة والخطاب والفيلم والتشكيل، وعلى قاعدة هاتين العلاقتين، يمكن تناول دراسة المعنى. (جوزف كورتيس ، ترجمة: جمال حضري.، ط 1 2007، صفحة 22).

وهذه ظاهرة أيضا في كل نص يحتوي على صور بلاغية محيلة على مظاهر كونية أو حالات سياقية خارجية، إذ نجد في أغلب النصوص علامات لغوية دالة متتالية يرتبط بعضها ببعض ارتباطا منتظما، وعلى أساسها تتم دراسة المعنى العام للنص.

ويمكن حصر أهم أفكار سوسير حول السيمياء، بكون العلامة اللغوية لا تقرن شيئا باسم، وإنما تقرن مفهوما بصورة سمعية، والمقصود بالصورة السمعية، ليس الصوت المسموع، أي الجانب المادي، بل الأثر النفسي الذي يتركه الصوت في المتلقي.

ومن المهم الإشارة إلى أن العلامة في مفهومها لدى سوسير وبارت لا تفارق انتماءها اللغوي اللساني، بسبب تركيزهما على البنية التركيبية للجملة والمستوى السطحي، وبالتالي فإن السيميائية لديهما دلالية، تقوم على العلاقة بين العلامة والدال والمدلول، فالعلامة مكونة من دال ومدلول، يشكل صعيد الدوال صعيد العبارة، ويشكل صعيد المدلولات صعيد المحتوى. في حين أن بيرس أضاف للدال والمدلول البعد الثالث وهو: (المرجع). (آراء عابد الجرماني، 2012، صفحة 32. 33)

يجب علينا أن نضيف بأن القسمة القاعدية عند سوسير (دال \ مدلول) قد استعيدت من قبل لساني كبير آخر هو يلمسليف ولكن مع إثرائها، فلقد غير نوعا ما الاصطلاح: مقابل الدال وضع التعبير ووضع للمدلول مصطلح المحتوى، لكن إضافته الحقيقية هي اقتراحه لكل واحد من المستويين مضاعفة حسب العلاقة (جوهر عكس شكل). (Saussure (f. de), 1985, p. 157)

أما موريس فاقترح ثلاثة سبل في التعامل مع العلامة وهو تمييز كان له صدى كبير في الأوساط العلمية، فالعلامة يمكن النظر إليها من خلال ثلاثة أبعاد:

1 – البعد الدلالي: ينظر إلى العلامة في هذا المجال باعتبار علاقتها بما تدل عليه

2 – بعد تركيبي: باعتبار قدرتها على الانضواء داخل مقاطع من علامات أخرى وفق قواعد تأليفية بعينها.

3 – البعد التداولي: إن العلامة في هذه الحالة تتحدد من خلال وظيفتها الأصلية والآثار التي تحدثها عند المتلقين، أي الطريقة التي يستعمل من خلالها المتلقي هذه العلامة. (أمبرتو إيكو، ط1 2007، صفحة 55. 56)

وهو ما يمكن درسه في البعد الدلالي؛ بالوقوف على تطبيق مفهوم العلامة باعتبار علاقتها بما تدل عليه، ثم اعتبار تناغمها مع مقاطع من علامات أخرى، وأخيرا من خلال أثرها في المتلقين؛ وذلك بعرض المظاهر التركيبية والأسلوبية، والكشف عن دلالاتها داخل نسيج النص الواحد.

يمكننا القول في هذا التأسيس اللساني للسيميائيات: إنها لم تتأسس بعد كمجال أكاديمي رسمي، ولم تكتسب منزلة علم اجتماعي كما أراد لها سوسير، بينما يقدم السيميائيون أحيانا تحليلاتهم كما لو كانت تفسيرات موضوعية علمية خالصة، وليست تحليلات ذاتية، ويبدو أن قلة من السيميائيين يشعرون بحاجة كبيرة لتقديم أدلة تجريبية على تفسيراتهم، ومعظم التحاليل السيميائية تمعن في الانطباعية، ويبدو أن بعض السيميائيين يختارون أمثلة توضح النقاط التي يرغبون في إثباتها، لكنهم لا يطبقون التحليل السيميائي على عينة واسعة وعشوائية. ولذلك يتطلب التحليل السيميائي محللا ذا مهارة عالية، لكي لا يشعر القارئ أن البيّن يلف بالغموض. (آراء عابد الجرماني، 2012، صفحة 367. 368) وأن المنهج زاد من تعقيد عملية التحليل السيميائي للنص.

4 – التحليل السيميائي للنص:

ينطلق التحليل الدلالي من العناصر الملموسة التي يعطيها نص أو صورة وهو ما نسميه تحليل سيمي ثم يتسع لمجموع العلاقات التي تكمن في الخطاب المدروس وهنا يتدخل مفهوم التشاكل، وفي مرحلة أخيرة نقوم بعقد علاقة بين مختلف المستويات الدلالية للموضوع المحلل. (جوزف كورتيس ، ترجمة: جمال حضري.، ط 1 2007، صفحة 108)

فهذه من بين أهم الخطوات الإجرائية المعتمدة في تحليل النصوص سيميائيا، إذ تعمد إلى التحليل الدلالي في البحث عن العلاقات الدلالية بين عناصر النص اللغوية، لتصل إلى البحث عن التشاكل والتباين بين مختلف الأجزاء الدلالية في النص ككل، وتثبت الانسجام النصي من خلال ذلك، لأن التشاكل والتباين يمثل مظهرا من مظاهر السيميائية.

وهو ما أشار إليه أيضا عبد اللطيف محفوظ في كتابه (سيميائيات التظهير) من خلال دور الآليات النحوية في تحقيق الانسجام الإظهاري (عبد اللطيف محفوظ، ط 1 2009، صفحة 28)، بوصفها من بين آليات تجسيد الموضوعات الدينامية بتمطيط الإظهار ولحم فقراته، ومن بين هذه الآليات: الأحوال والنعوت والصفات المشابهة. (عبد اللطيف محفوظ، ط 1 2009، صفحة 31)

فهو يشير هنا إلى دور الأدوات النحوية وأبوابها في الربط بين العناصر التركيبية، من خلال الصور الذهنية التي تصنعها الإشارات اللغوية، في الأساليب النحوية التركيبية، كالترابط الدلالي الذي يكون بين جملة القسم وجوابه، والقسم والشرط، والقسم والاستفهام، والارتباط الذي يكون بالفصل والوصل، والتقديم والتأخير، وبين الجمل الاسمية والفعلية، لتكتمل صورة الربط بين الأجزاء النحوية، ويتحقق بها الانسجام النصي.

فالمهم في التحليل السيميائي ليس الوصول إلى المعنى الحقيقي الذي يكشف عنه النص، بل الكيفية التي قال بها النص ما قاله، وذلك يتطلب منا مراعاة مستويين في النص: مستوى السطح ومستوى العمق.

وهكذا أسلمت السيميوطيقا النقد إلى التفكيكية التي لا ترى في النص بمعناه المعروف إلا كفة في شبكة لا نهائية من العلامات، أو قطرة في بحر العلامات الذي لا تدرك حدوده. (فيصل الأحمر، ط1 (2010)، صفحة 67. 68)

أما عن الطريقة التي يحلل بها المنهج السيميائي النص الأدبي باعتباره ظاهرة تجريبية واحدة، فإنها ترتكز على ثلاثة مستويات:

1 – التحليل المحايث: ويقصد به البحث عن الشروط الداخلية المتحكمة في تكوين الدلالة، وإقصاء كل ما هو خارجي إحالي، أي أنه يجب أن ينظر إلى المعنى على أنه أثر ناتج عن شبكة من العلاقات الرابطة بين العناصر.

2 – التحليل البنيوي: وينظر من خلاله إلى المعنى باعتباره مكتسبا لوجوده بالاختلاف وفي الاختلاف. كما يتطلب التحليل البنيوي الدراسة الوصفية الداخلية للنص ومقاربة شكل المضمون وبناء الهيكلية والمعمارية.

3 – تحليل الخطاب: حيث أن السيميائيات تتجاوز دراسة الجملة إلى تحليل الخطاب (فيصل الأحمر، ط1 (2010)، صفحة 60. 61).

وعند **المستوى الخطابي** أو المكون الخطابي يتوقف جون كلود جيرو باعتباره أول مستوى يمكن أن يلفت الانتباه أثناء القراءة، وفق التحليل الآتي:

1 – **الصور**: حيث تطلق الصورة في السيميائية على عنصر الدلالة المحدد والمدرك: (شجرة، منزل، باب...) إن أول خطوة في التحليل تتمثل في التعرف على الصور وترتيبها، وتقترح إجراءات التحليل

شبكة أولى لتعيين وترتيب الصور على ثلاثة أقطاب: الممثلون، الأزمنة، الأمكنة، ثم وصف العلاقات (الاختلافات المقابلات التمثلات) القائمة بين هذه الصور.

2- **المسارات الصورية:** وهي تساعد على توضيح مضمون الصورة، يعني الطريقة التي يستعمل بها النص هذه الصورة ويؤولها.

1 – **القيم الموضوعاتية:** إن شكل المسارات الصورية يحدد القيمة الموضوعاتية للصور، وينبغي أن يهتم المحلل السيميائي بتوضيح هذه الخصوصية.

2 – **الصوري \ الموضوعاتي:** فالقيم الموضوعاتية لا تكون مكشوفة في النص، ينبغي بناؤها انطلاقا من الصور والمسارات الصورية الملاحظة، وفي أثناء بنائها نتحقق من مصدر تجانس الصور في النص. (جان كلود جيرو، ترجمة: رشيد بن مالك، الصفحات 110 – 113)

ثم يتناول **المستوى السردي** الذي يعدّه أكثر تجريدا من المستوى الخطابي، ويتقدم النص على مستوى التنظيم السردي بوصفه متتالية من الحالات والتحويلات التي تقوم بين هذه الحالات، وتتبني على أربعة أطوار مرتبطة فيما بينها ارتباطا منطقيا وهي:

أولا: التحريك، ويتمثل في إبراز فعل الفعل (الإقناع، التهديد، الإغراء، الوعد...).

ثانيا: الكفاءة، في إبراز كينونة الفعل.

ثالثا: الأداء، ويعمل على تجلية فعل الكينونة.

رابعا: التقييم، ويبرز كينونة الكينونة، ويخص هذا الطور بشكل أساسي: عمليات التقييم التي يمكن أن تأخذ مظهر الجزاء. (جان كلود جيرو، ترجمة: رشيد بن مالك، الصفحات 113 – 115)

وفي المستوى الثالث من مستويات التحليل السيميائي، يستعرض لنا **المستوى المنطقي الدلالي**، كمستوى مجرد ومنطقي إلى أبعد حد، لتوضيح المنطق العميق الذي يسير ويحكم تمفصل الاختلافات وتنظيم العلاقات بين القيم الأولية، والأداة المستعملة في هذا المستوى هي المربع السيميائي. (جان كلود جيرو، ترجمة: رشيد بن مالك، الصفحات 120 – 122)

غير أننا أمام تعدد الإشارات في الظواهر التركيبية، نحاول البحث في النص عن العلاقات بين الإشارات المتنوعة، وهي الفكرة التي أخذها السيميائيون عن سوسير في أن أية إشارة قبل ظهورها في أي منطوق فعلي توجد في شفرتها كجزء من قائمة تبادلية، أي من نظام من العلاقات التي تربطها بإشارات أخرى من خلال التشابه والاختلاف، ففي اللغة ترتبط الكلمة تبادليا مع المترادفات والمتضادات والكلمات

الأخرى من الجذر نفسه، والكلمات التي تشبهها صوتيا وغير ذلك. وتقدم هذه البنية التبادلية الميدان الممكن للاستبدالات التي تنتج عنها الاستعارات والتوريات والكنايات والمجازات الأخرى، وتؤدي فكرة التبادل إلى عملية توليد سيميائية غير محددة. (صلاح فضل، ط2 (2013)، الصفحات 100 – 101) فمن خلال التشابه والاختلاف أو ما يسمى بالتباين والتشاكل، نسعى إلى البحث عن العلاقات بين العلامات.

بالإضافة إلى تحقيق مبدأ التركيب عند تشارلز موريس الذي يهتم بالقوانين التي تغطي القول والتأويل وبهذا المعنى يعني شيئا شبيها جدا بالنحو، ويشير إلى علاقة الكلمات بعضها ببعض في داخل فعل كلامي أو قول معين. (صلاح فضل، ط2 (2013)، صفحة 101) فالعلاقات النحوية التركيبية أيضا تجلي العلاقات بين العلامات.

وعليه فإننا سنعرض في دراستنا هنا السيميائيات اللغوية، التي تدرس (العلامات) من خلال النص، وتبحث عن الأبعاد الدلالية التي تحقق الانسجام الكلي للنص، وتعطي بذلك الحرية للنص ليختار من الأدوات الإجرائية المتغيرة (الزمان، المكان، التشاكل والتباين، الإيقاع.) حتى ترفع هذه الإجراءات من سلطة النص على المنهج، ولا تقع في منزلق ليّ أعناق النصوص لإرضاء المنهج، سواء تعلق الأمر بالنص المقدس، أو النص البشري.

وتنطلق الإجراءات التطبيقية للمنهج السيميائي من البحث عن الأبعاد الدلالية لارتباط الأساليب اللغوية، بالإشارات المرجعية الخارجة عن النص، التي أشار بها الرمز الكوني أو السياق الخارجي للنص، إلى البعد الزماني ثم المكاني، ودراسة التشاكلات والتباينات، وصولا إلى السطح في معالجة البعد الإيقاعي ومدى انسجامه مع التصور العام للموضوع، دون تكلف في إثبات هذه الأبعاد التي قد لا تظهر مواضع الربط فيها بوضوح، خاصة البعد الزماني والمكاني.

هذا، وتنطلق أهم المحددات الإجرائية والمقاصد المرجوة من التعامل مع هذه الخطوات والمراحل، من البعد الدلالي الذي يتمحور حول تفسير العلامة الموجودة في النص، وأبعادها الدلالية.

فالتشاكل والتباين الذي يدرس في النص؛ يتمثل في القدرة على تجميع الرموز المبثوثة على امتداد نسوج النص. وقد شاع هذا المصطلح (التشاكل والتباين) بعدما نقله غريماس من ميدان الفيزياء إلى ميدان الدراسات اللغوية. (فيصل الأحمر، ط1 (2010)، الصفحات 235 – 242)

فمن خلال هذه الرموز المتفرقة في النص الواحد نكتشف بعض الدلالات الخفية. فالتأويل ليس ممكنا إلا بتوسيع السياق، وبهذا نكون مجبرين على الاعتراف للتشاكل ليس فقط بوظيفة إزالة الغموض لكن أيضا بالدور الأساسي في انسجام الخطاب.

ثم إننا لا نجد في النص الواحد تشاكلا واحدا، لأننا أمام ظاهرة تفسير العلامة بعدة تفسيرات يمكن أن نجد تشاكلات عدة تتوافق مع بعضها البعض توافقا متقاطعا.

فنستطيع الحصول على:

- تشاكلات موضعية (مثل تلك التي تعني فقرة أو جزء فقط)
- تشاكلات عامة (التي تحدد مجمل الخطاب) (جوزف كورتيس ، ترجمة: جمال حضري.، ط 1 2007، الصفحات 109 – 112) فكل نص يتشكل من عدة مقاطع، وكل مقطع من عدة جمل، تتحد جميعا في تشاكلات عامة تحقق انسجام النص بزواياه المتعددة.

نتعامل أيضا مع تحليل العلامة في النص من خلال مفهوم الشفرة؛ الذي يرى السيميائيون أن الفهم بأجمعه يعتمد على الشفرات أو السنن، فعندما نستخلص معنى من حدث ما، فذلك لأننا نمتلك نظاما فكريا، أو الشفرة تمكننا من القيام بذلك، فالبرق كان يفهم ذات يوم على أنه علامة يصدرها كائن متسلط، أما الآن فنفهمه على أنه ظاهرة كهربائية. لقد حلت شفرة علمية محل شفرة أسطورية. (صلاح فضل، ط2 (2013)، صفحة 101)

فالشفرة لا تفهم بمفردها، وإنما تفهم بارتباطها مع العلامات الأخرى؛ فهي لا معنى لها منفردة، ولا تحمل معنى إلا عندما تفسّر من حيث علاقتها بعضها ببعض مثلما وضح سوسير. (دانيال تشاندلر. ترجمة: طلال وهبة،، ط 1(أكتوبر 2008)، صفحة 251 . 252.)

نختم هذا العرض للتحليل السيميائي للنصوص من خلال الكشف عن العلاقات التركيبية التي تبين انسجام النص من عدمه، بنموذج تحليلي تطبيقي حول النص القرآني.

5 – نموذج في التحليل السيميائي على النص القرآني:

نستعرض ما طبقه عبد المالك مرتاض على سورة الرحمن في قراءته السيميائية، حيث قدم تحليله في مستويات ستة، بدأها في المستوى الأول بطرح مشكلات تأويلية حول الخطاب القرآني في سورة الرحمن مستعرضا دلالة اسم السورة، وبدايتها باسم الله (الرحمن)، الذي يلقي بظلاله الحانية على

مجمل معاني السورة القرآنية، ثم القرآن، وخلق الإنسان، وما في ذلك الترتيب من أسرار، ليصل بعد ذلك إلى تأويل (البأرتة)، – وهو نحت اقترحه الكاتب في قول الله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان)– مستعرضا حجم حضورها في النص بالنسبة الرقمية، محاولا الوقوف على هذا التكرار وما في الآيات التي قبله من أسرار وفوائد. (عبد المالك مرتاض، 2001، الصفحات 26 – 68)

وفي المستوى الثاني استعرض الزمن القرآني، مناقشا خصوصيته التي تبتعد عن مفهوم النظام الزمني النحوي أو الرياضي أو الفلسفي، مستعرضا زمن الفعل الماضي ودلالاته في السورة القرآنية، ثم الزمن الحاضر، ناسبا الزمن إلى الاسم أيضا، مقسما إياه إلى: الزمن السرمدي المتعلق بالألوهية، والزمن الأبدي المتعلق بالمظاهر والأشياء والأمكنة، ثم الزمن العارض الذي سرعان ما ينتهي مداه إذا انتهى أثره في الظواهر الموسمية. (عبد المالك مرتاض، 2001 ، الصفحات 70 – 115)

وفي المستوى الثالث يقف عند الحيز القرآني الذي أطلق عليه (اللوحة الحيزية الخلفية).. في ثلاثة أضرب: إلهي وروحي وكوني. (عبد المالك مرتاض، 2001 ، الصفحات 117 – 155)

أما في المستوى الرابع فقد درس مسألة التشاكل والتباين (عبد المالك مرتاض، 2001 ، الصفحات 157 – 216) ثم تناول نظام النسج القرآني في المستوى الخامس (عبد المالك مرتاض، 2001 ، الصفحات 2018 – 261) ليغوص أكثر في مستوى أعمق من تشاكل وتباين الكلمات والآيات... منتهيا في الأخير إلى معالجة البنية الإيقاعية وهي بنية خارجية شكلية أخرجتنا من المستوى العميق الذي غاص بنا فيه الباحث، ليسبح من جديد على سطح جمالية الموسيقى القرآنية، وأثرها في باقي المستويات.. (عبد المالك مرتاض، 2001 ، الصفحات 263 – 301)

4. خاتمة:

في ختام هذه المقالة نسجل النتائج التالية:

- أن للسيميائية مفهومين: الأول عام يرى أن السيميائية فلسفة تكاملية للحياة، والثاني خاص محدد، يرى أن السيمياء منهج نقدي.
- ونتيجة لذلك تعددت الاتجاهات السيميائية بحسب اهتمام الباحثين، فنشأت: السيميائيات السردية، والسيميائيات الثقافية، وسيميائيات التلقي، والسيميائيات الخطابية.
- السيميائية كمنهج نقدي، فيها ثوابت ومتغيرات، فمن ثوابتها: التركيز على أن مدار اهتمامها العلامات، ومن متغيراتها: قدرتها على التكيف مع الحقل والمؤول والطرائق الإجرائية.

- والعلامات اللسانية تنقسم إلى قسمين كبيرين: علامات الكلام، ووحدتها الدنيا تسمى (أصوات) والثانية: علامات الكتابة، ووحدتها الدنيا تسمى (حروف). ومقابلة الأصوات بالكلمات هي في الواقع من منطلق اعتباطية الدليل مثلما سماها سوسير.
- يمكن حصر أهم أفكار سوسير حول السيمياء، بكون العلامة اللغوية لا تقرن شيئا باسم، وإنما تقرن مفهوما بصورة سمعية، من خلال الأثر النفسي الذي يتركه الصوت في المتلقي.
- وتتمثل السيميائيات اللغوية في أشكال لسانية أهمها: الفونولوجيا، التركيب، التصريف، الدلالة.
- ينطلق التحليل الدلالي من العناصر الملموسة التي يعطيها نص أو صورة، وهو ما نسميه تحليل سيمي ثم يتسع لمجموع العلاقات التي تكمن في الخطاب المدروس وهنا يتدخل مفهوم التشاكل، ثم نقوم بعقد علاقة بين مختلف المستويات الدلالية للموضوع المحلل.
- يتحقق تصور الانسجام النصي بتفعيل المنهج السيميائي من خلال الكشف عن العلاقات التركيبية في النص.
- المهم في التحليل السيميائي ليس الوصول إلى المعنى الحقيقي الذي يكشف عنه النص، بل الكيفية التي قال بها النص ما قاله، وذلك يتطلب منا مراعاة مستويين في النص: مستوى السطح ومستوى العمق.
- والطريقة التي يحلل بها المنهج السيميائي النص الأدبي باعتباره ظاهرة تجريبية واحدة، ترتكز على ثلاثة مستويات: التحليل المحايث. التحليل البنيوي. تحليل الخطاب.
- نمثل للتحليل السيميائي على النص وأثره في الكشف عن الانسجام النصي وبيان العلاقات التركيبية، بما طبقه عبد المالك مرتاض على سورة الرحمن في قراءته السيميائية، حيث قدم تحليله في مستويات ستة، بدأها في المستوى الأول بطرح مشكلات تأويلية حول الخطاب القرآني، وفي المستوى الثاني استعرض الزمن القرآني، وفي المستوى الثالث يقف عند الحيز القرآني الذي أطلق عليه (اللوحة الحيّزية الخلفية)، في ثلاثة أضرب: إلهي وروحي وكوني، أما في المستوى الرابع فقد درس مسألة التشاكل والتباين، ثم تناول نظام النسج القرآني في المستوى الخامس، وختم هذه المستويات بمعالجة البنية الإيقاعية.

5. قائمة المراجع: طريقة (APA)

- **المؤلفات:**

Bibliographie

Gerard deledalle . (1979). *Théorie et pratique du signe .* Peirce: introduction a la semiotique de C. S.

Saussure (f. de). (1985). *cours de linguistique generale. .* Paris: ed du Payot .

آراء عابد الجرماني. (2012). *اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، .* الجزائر: ط1 .

أمبرتو إيكو. (ط1 2007). *العلامة تحليل المفهوم وتاريخه.* الدار البيضاء. المغرب : المركز الثقافي العربي (كلمة).

جان كلود جيرو، ترجمة: رشيد بن مالك. (بلا تاريخ). *السيميائية أصولها وقواعدها،.*

جان كلود جيرو، ترجمة: رشيد بن مالك. (بلا تاريخ). *السيميائية أصولها وقواعدها،.* الجزائر: منشورات الاختلاف.

جوزف كورتيس ، ترجمة: جمال حضري. (ط 1 2007). *سيميائية اللغة.* الجزائر: منشورات الاختلاف،.

دانيال تشاندلر .ترجمة :طلال وهبة،) .ط)1أكتوبر .((2008أسس السيميائية،) .بيروت لبنان : (المنظمة العربية للترجمة .

صلاح فضل) .ط .((2013) 2مناهج النقد المعاصر، .مصر :أفريقيا الشرق، .

عبد اللطيف محفوظ) .ط .(2009 1سيميائيات التظهير .الجزائر :منشورات الاختلاف.

عبد المالك مرتاض .(2001) .نظام الخطاب القرآني تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن .الجزائر :دار هومه للنشر.

عبد المالك مرتاض. (2001). *نظام الخطاب القرآني تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن*. الجزائر: دار هومه للنشر.

فيصل الأحمر) .ط .((2010) 1معجم *السيميائيات*،) .الجزائر : (منشورات الاختلاف .